الازهر

قُمْ في فم الدنيا وحيِّ الأزهرا وانثرْ على سمع الزمان الجوهرا
واجعلْ مكان الدرِّ إن فصَّلته في مدحه خرزَ السماء النيِّرا
واذكرْه بعد السجدين معظِّما لماجد الله الثلاثة مُكبِّرا
واخشعْ ملياً ، وافضِ حقَّ أئمةٍ طلعوا به زُهرا ، وماجوا أبحراً
كانوا أجلَّ من الملوك جلالةً ، وأعزَّ سلطاناً ، وأنجم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابُهم حَرمَ الامان ، وكان ظلهم الذُّرا (١)
من كل بحر في الشريعة زاخر ويُريكَهُ الخُلُق العظيم غضنفرا
لا تحذُ حَذوَ عصابة مفتونة يجدون كلَّ قديم شيء منكَرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا من مات من آبائهم أو عمّرا
من كل ماضٍ في القديم وهدمِه واذا تقدَّم للبناية قصَّرا
وأتى الحضارة بالصناعةِ رثةً ، والعلمِ نزراً ، والبيانِ مُثرثِرا (٢)

* * *

يامهداً أفنى القرونَ جدارُه وطوى الليالي ركنُه والأعصُرا
ومشى على يَبَس المشارق نورُه وأضاءَ أبيضَ لُجِّها والأحمرا
وأتى الزمانُ عليه يحمي سُنةً ويَذود عن نُسُكٍ ويمنع مَشعَرا (٣)
في (الفاطميِّين) انتمَى يَنبوعُه عذبَ الاصول كجدهم متفجّرا (٤)

(١) الالجأ (٢) المثرثر المخالط (٣) المشعر موضع مناسك الحج
(٤) جد الفاطميين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكان يدعى باب مدينة العلم

عَينٌ من الفُرقان فاض نَميرُها وحَيا من الفُصحَى جرى وتحدَّرا[1]
ما ضرني أن ليس أفقُك مَطلعي وعلى كواكبه تعلَّمتُ السَّرى
لا والذي وَكَلَ البيانَ اليك لم أكُ دون غايات البيان مُقصِّرا
لمّا جرى الاصلاح قمتُ مهنِّئاً بأسم الحنيفة، بالمزيد مُبشِّرا[2]
نبأسرى، فكسا المنارةَ حُبرةً[3] وزها المصلّى، واستخفَّ المنبرا
وسما بأروقة الهدى فأحلَّها فرعَ الثُّريّا وهي في أصل الثّرى
ومشى الى الحلقات فانفرَجت له حلقا كهالات السماء منوَّرا
حتى ظننّا الشافعيَّ ومالكا وأبا حنيفةَ وابنَ حنبَلَ حُضَّرا
إن الذي جعل العتيقَ مثابة جعل الكنانيَّ المبارك كوثرا[4]
العلم فيه مناهلاً ومَجانيا يأتي لها النُّزّاع يبتدرون القِرى[5]

* * *

الله أكبر يا ابنَ اسماعيلَ لم تترُكْ لصُنّاع المآثر مَفخرا
بالامس تُنهض مُصر في دستورها واليوم تُنهض للسَّماك الازهرا
مِنَنٌ على الوادي السعيد تقلّبت أعطافُه في وَشيهنَّ مُنشّرا
حرّكنَ فيه النيلَ قبل وَفائه فوَفَى، وهيَّجنَ الربيعَ فبكّرا
الازهرُ المعمور قُلِّدَ حُرَّةً لك في الهِبات حَرِيَّةً أن تُشكرا

(١) الحيا المطر والفصحى اللغة العربية (٢) الحنيفة العربية (٣) المنارة المئذنة والحبرة السرور (٤) العتيق المسجد الحرام والمثابة مجمع الزمر . والمراد بالكناني الازهر نسبة الى الكنانة وهي مصر (٥) النزاع الغرباء

أرعيتَه عَينَ العناية مُصلحاً وأجلتَ فيه يدَ البناء مُمَرَّا
وعدٌ وعدتَ له ، بَوادرُ صدقه كالبرق لم يفترْ حتى أمطرا
وبلغتَ بالمعروف غايةَ صفوِه أيكون معروفُ الملوك مكدّرا؟
لم تبغ بالضعفاء عُدوانا ، ولم تقذف على حَرَم الشريعة عَسكرا

* * *

نظراً وإحساناً الى عميانه وكنِ المسيحَ مُداوياً ومجبّرا
والله ما تدري : لعل كفيفَهم يوماً يكون أبا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد غبنا، وجلَّ المشتري والمشترَى
إن فاتهم من نور وجهكَ فائتٌ لم يعدموا لوجوه برِكَ منظرا
لمسوا نَداكَ كمن يشاهد مزنةً (١) ويدُ الضرير وراءها عينٌ ترى
زدهم ـ أبا الفاروق ـ إنك خيرٌ من خيرٍ وَلَدَ الكريمَ الخيّرا

* * *

يافتيةَ المعمور ، سار حديثكم نِدًّا بأفواه الركاب وعنبرا
المعهدُ القدسيّ كان نَديُّه قطباً لدائرة البلاد ومحوَرا
وُلدتْ قضيتُها على محرابه وحَبتْ به طفلاً وشبَّتْ مُعصِرا (٢)
وتقدمتْ تُزجي الصفوفَ كأنها (جاندَرْكُ) في يدها اللواءُ مظفّرا
هزُوا القُرَى من كهفها ورقيمها ، أنتم لعمرُ الله أعضابُ القرَى
الغافلُ الاميُّ ينطق عنكمُ كالببَّغاء مُرَدِّداً ومُكرِّرا
يُمسي ويصبح ـ في أوامر دينه وأمور دنياه ـ بكم مستبصرا

(١) المزنة السحابة المطرة (٢) طفلا أي طفلة والمعصر الفتاة المدركة

لو قلّمُ اختر للنيابة جاهلاً أو للخطابة باقلاً لتخيرا (١)
ذُكر الرجالُ له فأله عُصبةً منهم وفسّق آخرين وكفّرا
آباؤكم قرءوا عليه ورتّلوا بالامس تاريخ الرجال مُزوّرا
حتى تلفّتَ عن محاجر رومة فرأى عرابي في المواكب قيصرا
ودعا لمخلوق وألّه زائلا وارتدّ في ظُلَم العصور القهقرى
فجنى على العرش البلاءَ وما نوى وجنى على الوطن البلاء وما درى

* * *

كونوا سياج العرشِ والتمسوا له نصراً من الملك العزيز مؤزّرا
وتفيّأوا الدستورَ تحت ظلاله كنفاً أهشّ من الرياض وأنضرا
لا تجعلوه هوًى وخُلفا بينكم ومجرّ دنيا للنفوس ومَتجرا
اليومَ صرّحتِ الامورُ فأظهرت ما كان من خدع السياسة مُضمَرا
قد كان وجه الرأي أن نبقى يداً ونرى وراءَ جنودها انكسرا
فاذا أتتنا بالصفوف كثيرةً جئنا بصفٍّ واحد لن يُكسرا
غضبت ففضّ الصوتَ كل مُكابر يلفاكَ بالخد اللطيم مصعّرا
لم تلقَ إصلاحا تهابُ، ولم تجد من كتلة ما كان أعيا مِلنرا (٢)
حظٌّ رجونا الخيرَ من اقباله عاث المفرّق فيه حتى ادبرا
دارُ النيابة هُيّئتْ درجاتها فليرقَ في الدّرج الذوائبُ والذرا
الصارخون إذا أسيء الى الحِمى والزائرون اذا أُغير على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى يمشون في ذهب القيود تبختُرا

شوقي

(١) باقل رجل يضرب به المثل في البي والنباهة (٢) المراد بالكتلة الامة مجتمعة متحدة